برنامج [الأمان الأمان.. يا صاحب الزمان] - الحلقة (6)
ولادة القائم من آل محمد صلوات الله عليهم – الجزء (3)
الاربعاء : 7 شهر رمضان 1439 – الموافق: 2018/5/23

✤ هذهِ هي الحلقةُ السادسةُ مِن برنامجنا [الأمان الأمان.. يا صاحب الزمان] والحديثُ هو هو الذي تقدّم في الحلقات الماضية: حديثُ الولادة (ولادةُ القائم مِن آل مُحمّد "صلواتُ اللهُ وسلامهُ عليهم أجمعين")
وقد بيّنتُ فيما سلف مِن أحاديثي المُتقدّمة في الحلقات الماضية مِن أنّني سأفتحُ شاشاتٍ عديدة.. وأوّلُ شاشةٍ فتحتُها سمَّيتُها "شاشة القرآن".. ولازلنا في إطار هذه الشاشة.
مرّ الحديثُ في الصُورةِ الأولى وفي الصورةِ الثانية، وسأكملُ ما بقي مِن كلامٍ بخصوص الصُورة الثالثة والرابعة كي تكتملَ المُعطياتُ بين أيديكم كي تستطيعوا أن تُشخِّصوا الصُورة واضحةً وجليّةً في هذه الشاشة.

● ما تقدّم مِن كلامٍ في الصُورة الأولى كان حديثاً في أجواء حُزمةٍ مِن آيات الكتاب العزيز تتحدّثُ عن الإمامةِ وعن الإمام لكلّ جيلٍ مِن الأجيال: {**يومَ ندعو كُلّ أُناسٍ بإمامهم**}. لا أُريد أن أُعيد الكلام المُتقدّم.. واضحٌ مِن الصُورة الأولى ومِن حُزمةِ آياتها أنّ الإمامةَ لابُدَّ منها وأنّ الإمامَ لابُدَّ منهُ والعلاقةُ مُستمرّة مِن هذهِ الدنيا إلى يوم القيامة وما بعدَ يوم القيامة.

● انتقلتُ بعد ذلك إلى الصُورة الثانية حيثُ وقفتُ عند مَجموعةٍ مُشخّصة مُتكاملةٍ مُتواصلةٍ، جاءَ التعبير عنها بصيغةِ الفاعل وبتعبير جَمْع المُذكّر السالم (العالون، الخالدون، العالمون، الراسخون، المُطهّرون، العابدون، الراحمون، الغافرون، اللّاعنون، الحاكمون، الفاتحون، الناصرون، المُنزلون، الفاصلون، الرازقون، الوارثون، الخالقون، الصالحون، الصادقون..)

• **خُلاصةُ الصورة الثانية:**
هُناك مَجموعةٌ تَحدَّثَ عنها القُرآن مِن أوّله إلى آخره، وهُم الصادقون.. هذهِ المجموعة مجموعةٌ مُتكاملةٌ مُتواصلةٌ لا انقطاع بين حلقاتِ سلسلتها الذهبيّة المُقدّسة.
فما بينَ منظومةِ الإمامةِ التي يحتاجُها الإنسان - على الأقل - وإنْ كانتْ عقيدتُنا مِن أنَّ منظومةَ الإمامةِ ساريةٌ في كُلّ أجزاء الوجود.. ولكن نحنُ والحديث تحت هذا العنوان: ولادةُ القائمِ مِن آلِ مُحمّد "صلواتُ الله عليهم" والحديثُ عن إمامة الناس.
فمِن آياتٍ تتحدّثُ بِصراحةٍ عن منظومة الإمامة التي نحتاجُها مِن أوّل لحظةٍ مِن لَحَظاتِ حياتنا.. حتى ننتقلَ مِن هذا العالم إلى العوالمِ الأُخرى (إلى يوم القيامةِ وإلى الجنان والنيران..) والقضيّةُ مُستمرّةٌ وواضحةٌ جدّاً.. على الأقل بالنسبةِ لي ولِمَن يُوافقُني على هذا الفَهْم.
• هذهِ المنظومة تتجلّى بشكلٍ طبيعي في هذهِ المجموعة التي تحدّثتْ عنها الصُورةُ الثانية... إذ أن الحكمة تقتضي ذلك، فإذا كان الله سُبحانهُ وتعالى قد وضع منظومةً - هي التي قُلتُ عنها: منظومةَ الإمامة - إذا كانَ سُبحانه وتعالى قد وضعَ هذهِ المنظومة ووضعَ هذا القانون، فالحكمةُ تقتضي أنّ هذهِ المنظومة وأنّ هذا القانون لابُدّ أن يتجلّى وأن يتفعّل وأن يظهر في أفضلِ مجموعةٍ عند الله سُبحانهُ وتعالى وهي هذه المجموعة (الصادقون، الصالحون، الوارثون، المُطهّرون) إلى سائر الأوصاف الأخرى.. وقد أشرتُ إلى جانبٍ واضحٍ مِن هذهِ الأوصاف إن كان ذلك في آياتِ الكتاب الكريم، أو في أدعيّة أهل البيت كما في دُعاء الجوشن الكبير، أو كما في دعاء البهاء (دعاء السَحَر)
فما بين منظومة الإمامةِ التي نَحتاجُها على كلّ حال، وما بينَ هذهِ المجموعةِ المُتكاملةِ المُتواصلة تتّضحُ الصُورةُ شيئاً فشيئاً حينما أنتقلُ بكم إلى الصُورةِ الثالثة مِن صُور هذه الشاشة.

❖ **الصورة (3) مِن صُور الشاشة الأولى وهي "شاشةُ القرآن"**: صُورةٌ تُركّزُ النظر على هَذا المُصطلح (الأمر) وحقيقته والذي لابُدّ أن يكون جارياً في نَظم هذا الوجود في كُلّ طبقات هذا العالم.
• تبدأ مِن الآية 3 مِن سُورة يُونس: {**إنَّ ربَّكم اللهُ الذي خَلَقَ السماواتِ والأرض في سِتّة أيّام ثُمَّ استوى على العَرش يُدبّر الأمر**..}
في أحاديث أهل بيت العِصمة مِن أنّ السماء الدُنيا - والتي نحنُ جزءٌ منها - السماء الدُنيا وهي الأولى بالقياس إلى السماء الثانية: كحلقةٍ في فلاة..! والسماءُ الثانية بالنسبةِ إلى الثالثة هكذا أيضاً، وكذلك السماء الثالثة بالنسبة إلى الرابعة هكذا أيضاً.. حتّى نصِل إلى السماء السادسة فهي بالنسبة للسماء السابعة كحَلَقةٍ في فلاة.
وكُلّ السماواتِ إلى الكُرسي كحَلَقةٍ في فَلاة {**وسِعَ كُرسيّه السماوات**} وما الأرض إلّا جُزءٌ سابحٌ في فناءِ هذهِ السماوات.. وهذهِ السماواتُ بكلّها بقضّها وقضيضها إلى الكُرسي كَحَلقةٍ في فلاة، والكُرسي هو أيضاً في باطن العرش وهو إلى العَرش كحَلَقةٍ في فَلاة.
أمّا هُم "صلواتُ الله عليهم" فقد جَعَلَهم بعَرشه مُحْدقين يعني أحاطوا بعَرشهِ.. فهُم حقيقتهم أوسعُ وأوسعُ وأوسع مِن كُلّ ذلك.. كما نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة:
(**خَلَقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشهِ مُحدقين حتّى مَنّ علينا بكم** - حينما تجلّوا وظهروا في هذا العالم -) حقيقتهم مُحيطةٌ بالعَرش، فهُم قد أحاطوا بالعَرش.. كما يُقال للبُستان الذي يُحيطُ بالبيت "حديقة".. قِيلَ له حديقة لأنّه قد أحدق بالبيت، يعني أحاط به.. ويُقال "حَدَقةُ العين" لأنّها تُحيطُ بالصُورة، فالصُورةُ تظهرُ في الحَدَقة.

والعرش مُحيطٌ بالمخلوقاتِ التي تَجلّتْ مِن الإسم الأعظم الذي خَلَقَهُ فاستقرّ في ظِلّه فلا يخرجُ مِنهُ إلى غيره.. ومنهُ كان الذي كان مِن مَراتب الوجود المُختلفة (العرش، وحتّى ما فوق العرش وما دون العرش) إنّها تَجليّاتٌ مِن ذاك الإسم الأعظم الأعظم الأعزّ الأجلّ الأكرم الذي خَلَقه عزّ وجلّ فاستقرّ في ظِلّهِ فلا يخرجُ مِنهُ إلى غيره.. حتّى مَنّ علينا بهم وهم تجليّاتُ ذلك الإسم.

• هذا العنوان (يُدبّرُ الأمر) عنوانٌ كبير جدّاً.. فإنّ الأمر ما وراء كُلّ ذلك..! ما يظهرُ في عالم الوُجود هو الخَلْق، وما وراءَ الخَلْق هو الأمر. هذا العنوان (الأمر) عنوان خفيٌ فيما بين كُلّ تلك الحقائق.

• في سورة الأعراف الآية 54: {**إنَّ ربَّكم اللهُ الذي خَلَق السماواتِ والأرضَ في ستّة أيّام ثُمَّ استوى على العَرش يُغشي اللّيل النهار يَطلُبُهُ حثيثاً والشمسَ والقمرَ والنجومَ مسخراتٌ بأمره ألا لهُ الخلق والأمر تبارك الله ربُّ العالمين**}

الآيةُ تُفصّل المَضمونَ الإجمالي في الآية 3 من سورة يُونس. الأمرُ مُحيطٌ بالخَلْق، الأمرُ ما وراءَ الخَلْق.

• في سورة هو في الآية 123: (**ولله غيبُ السماوات والأرض وإليهِ يرجعُ الأمرُ كلّه..**)

قولهِ {**وإليهِ يرجعُ الأمرُ كلّه**} المُراد مِن "الأمر كلّه": عالَمُ الأمر، حقيقةُ الأمر التي هي أوسع من الخَلْق وأوسع مِن الغَيب.. فذلك أمرهُ، ذلك شأنهُ سُبحانهُ وتعالى.

تحتَ هذا العُنوان تدخلُ الأفاعيل، والمُراد مِن الأفاعيل: أي كُلّ ما هُو مُتحقّقٌ فِعلاً على صفحة الوجود.. مِثلما تَتحقّق الكلماتُ وتُكتَب وتُطبَعُ على صفحاتِ الكتاب.

الأفاعيلُ، والصفاتُ ومظاهرها، والأسماءُ وتجليّاتها، وعالمُ الخَلْق مِن العَرش فما دُون (بغَيبه وشهادته) وما فوقَ العَرش، وكُلّ تلك التجليّات العالية فيما عُبّر عنه بالخَلْق الأوّل - وهي مِن التجليّات العالية للإسم الأعظم الأعظم الأعظم - كُلّ هذهِ المضامين وكُلّ هذهِ المعاني تقعُ في خُزانة هذا العنوان: **الأمر**.

تجليّاتُ هذا المُصطلح لا عدّ لها ولا حَصْر، وتتناسبُ مع كُلّ طبقةٍ من طبقاتِ هذا الوجود.

• في الآيات الأولى بعد البسملة مِن سُورة الدخان: {**إنّا أنزلناهُ في ليلةٍ مُباركةٍ إنّا كُنّا مُنذرين * فيها يُفرَقُ كُلّ أمْرٍ حكيم * أمْراً مِن عندنا إنّا كُنّا مُرسلين**}. وبحسب أحاديث أهل بيت العصمة "صلواتُ الله عليهم" فإنّ الحديث في الآية الكريمة هو عن "ليلة القدر" التي هي أشرفُ ليالي شهر رمضان.

قولهِ عزّ وجلّ: {**فيها يُفرَقُ كُلّ أمْرٍ حكيم**} هذا الأمرُ الحكيم هو تَجلٍّ مِن ذلكَ الأمْر.. فما يتجلّى في ليلةِ القدر ليستْ لنا.. ما يتجلّى في عالم الغَيب (ما هو غائبٌ عن حواسنا وعن مداركنا.. ما يتجلّى في تلك اللّيلةِ هو مَظهرٌ مِن عالم الأمر يتناسبُ وهذا العالم {**فيها يُفرَقُ كُلّ أمْرٍ حكيم**}).

• الأمر هو هو في سورة القدر في الآية 4: {**تنزّلُ الملائكةُ والروحُ فيها بإذن ربّهم مِن كُلّ أمر**}

ما ذُكر من أمرٍ في سورة الدخان وفي سُورة القدر هُو تجليّاتٌ مِن ذلك المَعنى الذي أُشير إليه في سُورة الأعراف {**ألا لهُ الخَلْقُ والأمر**} وهذا المضمون تحدّثتْ عنه الزيارة الجامعة الكبيرة حين تقول: (**وعزائمُهُ فيكم، ونوره وبُرهانُهُ عندكم، وأمرهُ إليكم**)

ولِذا مُباشرةً تقول الزيارة الجامعة الكبيرة: (**مَن والاكم فقد والى الله، ومَن عاداكم فقد عادى الله، ومَن أحبَّكم فقد أحبَّ الله، ومَن أبغضكُم فقد أبغضَ الله، ومَن اعتصمَ بكم فقد اعتصمَ بالله**).

هنا تأتي الخُلاصة والزبدة حِين تقول الزيارة: (**ومَن اعتصمَ بكم فقد اعتصمَ بالله**..) مثلما نقرأُ في دُعاءِ علقمة وهُو الدعاء الذي يُقرَأُ بعد زيارةِ عاشوراء (**ليس لي وراء الله وَوراءَكم يا سادتي مُنتهى**)

• المضامين التي مرّت الإشارةُ إليها في الحلقاتِ المُتقدّمة مِن أنّنا حِين نشكرُ النعم نقول: اللّهُمّ إنّ هذا مِنكَ ومِن مُحمّدٍ وآلِ مُحمّد. المضامِين هي هي.. (أرحمُ الراحمين) هُم الراحمون ولكنّهم بعد رحمتهِ.. (خيرُ الرازقين) هُم الرازقون ولكن بعد رازقيّتهِ.. وسائر المضامين الأخرى التي مرَّتْ الإشارةُ إليها.

{**تنزّلُ الملائكةُ والروحُ فيها بإذن ربّهم مِن كُلّ أمر**} لأنّ الله تعالى أراد ذلك.. الباري سُبحانه وتعالى هو الذي قرّر هذا.. قَرّر أنّ نظامَ الوجود هكذا يكون، ولابُدّ أن يكون هكذا؛ لأنّ حِكمتهُ اقتضتْ ذلك، لا لِحاجةٍ منهُ إلى هذا.. فهكذا اقتضتْ حِكمتهُ أنّ الأمر بكُلّهِ إليهم (**وأمرهُ إليكم**)، (**ومَن اعتصمَ بكم فقد اعتصمَ بالله**)

حِين نعتصِمُ بهم إنّنا نَعتصِمُ بالله، حِين نَذكُرهم إنّنا نَذكرُ الله، حِين نُحبّهم إنّنا نُحبّ الله، حِين نُطيعُهم إنّنا نُطيع الله.. والملائكةُ تتنزّلُ على الإمام المعصوم مِن كُلّ أمر لأنّ الإمام هو وجهُ الله، وهُو باب الله، ولأنّ كُلّ شيءٍ يرتبطُ بالله يرتبطُ به.. وليس فقط في عالم الأرض، وإنّما في كُلّ طبقات الوجود تجليّاتهم واضحة كما في دعاء شهر رجب المَروي عن إمام زماننا الحجّة بن الحسن، حيث نقرأ فيه هذه العبارات: (**أعضادٌ وأشهاد، ومُناةٌ وأذواد، وحَفَظةٌ ورُوّاد، فبهم ملأتْ سماءك وأرضك حتّى ظهر أن لا إله إلّا أنت**)

فنزولُ الملائكة إلى الأرض إليه "صلواتُ الله عليه" هو في طَبَقةٍ مِن طَبَقات عالم الأمر، وفي كُلّ طَبَقةٍ مِن طَبَقاتِ عالم الأمر تتنزّلُ الحقائقُ إليهم وتتوافدُ الملائكةُ أفواجاً صاعدةً نازلة.. الحقيقةُ الواسعةُ المُطلقة هُناك: (الإسمُ الأعظم الأعظم الأعظم الذي خَلَقهُ اللهُ سُبحانه وتَعالى فاستقرَّ في ظِلّهِ فلا يخرجُ منهُ إلى غيره..) والجوهرةُ المُتجليّةُ مِن ذلك الإسم الأعظم هو إمامُ زماننا الحجّة بن الحسن العسكري "صلواتُ الله وسلامه عليه" الذي يُمثّل الجزءُ الأخير مِن هذا الكيان الذي عُبّر عنه بالعالين، بالخالدين، بالعالمين.. إلى سائر الأوصاف التي مرّ ذِكرها إن كان في آياتِ الكتاب الكريم أو في كلماتِ المعصومين "صلواتُ الله عليهم أجمعين".

• في سورة النساء الآية 59: {**يا أيُّها الذين آمنوا أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسول وأولي الأمْر منكم فإنْ تنازعتم في شيءٍ فردّوهُ إلى اللهِ والرسول إنْ كُنتم تُؤمنونَ باللهِ واليوم الآخر**}
ليس المُراد مِن (أُولي الأمر) الذين يكونون حُكّاماً ويتحرّكون في دائرة الحُكم.. أُولو الأمر هم أصحابُ هذا الأمر الذي تحدّثتْ عنهُ آياتُ الكتاب الكريم.
وفي نهاية السلسلةِ من هذا الأمر تأتي حاكمية الناس.. السِلسلةُ طويلةٌ.. فهذا الأمر الذي لهُ سادةٌ وأولياء هُم الذين ذُكِروا هُنا {**يا أيُّها الذين آمنوا أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسول وأولي الأمْر منكم**} ليسَ مِن المنطقِي أن يُقرَنَ ذكرُ حُكّامٍ من سائر الناس مع الحديث عن طاعة الله وطاعة الرسول..!
المنطق يقول: أنّ الله الذي لهُ الخَلْق والأمر يُقرنُ مع مُحمّدٍ وآل مُحمّد المعصومين المُطهّرين.. فهم أُولو الأمر، وهذا الأمر لابدَّ أن يكون سارياً في كُل حالٍ من الأحوال.. وهؤلاء الذين مرّ التعبير عنهم (العالون، الخالدون...) هؤلاء هم أُولو الأمر.
الفطرةُ، الوجدان، المنطق يقول أنّ أولي الأمر لابُدّ أن يكونوا هُم هؤلاء الذين مرَّ ذِكرهم بهذه الأوصاف وبِصيغة الفاعل وبجمع المُذكّر السالم.

• هذهِ الآية (59 من سورة النساء) هي مثالٌ لشأنٍ دُنيوي والشأنُ الدنيوي هذا يرتبط بحاكمية الناس وبِحُكومة أُولي الأمر في الأرض.. وهذه الحاكميّة وهذه الحكومة إنّما هي في سِلسلة تجليّات معنى الأمر.

● وقفة عند حديث الإمام الباقر في [تفسير البرهان: ج8]
(**عن عبد الله بن عجلان السكوني، قال: سمعتُ أبا جعفر "الباقر عليه السلام" يقول: بيتُ عليّ وفاطمة حُجرةُ رسول الله "صلّى اللهُ عليهِ وآله"، وسَقْفُ بيتهم عَرْشُ ربّ العالمين، وفي قَعْر بُيوتهم فُرجةٌ مَكشوطةٌ إلى العَرش مِعراجُ الوحي، والملائكة تنزّل عليهم بالوحي صباحاً ومَساء وكُلُّ ساعةٍ وطرفةِ عين، والملائكةُ لا ينقطع فوجهم، فوجٌ ينزل وفوجٌ يصعد..**)
• إلى أن تقول الرواية وهي تتحدّث عن مُحمّدٍ وعليّ وفاطمة والحسن والحُسين:
(**كانوا يُبصرون العَرش، ولا يجدونَ لِبُيوتهم سَقْفاً غيرَ العَرش، فبيوتهم مُسقَفةٌ بعَرش الرحمن، ومعارجُ الملائكةِ والروحُ فَوجٌ بعد فوج لا انقطاع لهم، وما مِن بيتٍ من بيوتِ الأئمة منّا إلّا وفيه مِعراج الملائكة لقول الله عزّ وجل: {تنزَّلُ الملٰئكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر*سلام} قال: قلتُ: مِن كلّ أمر؟ قال: بكلّ أمر. فقلتُ: هذا التنزيل؟ قال: نعم**).
الحديثُ هنا ليس عن الجانب الحسّي وعن حكومةٍ وحاكميّةٍ فيما بين البشر.. وإنّما الحديث هُنا عن طَبَقةٍ تتجاوزُ طَبَقَة الحِسّ.. الحديثُ هُنا عن عالم الحقيقةِ الذي لا تَطالهُ الحواس وإنّما تطاله البصائر.
نَحنُ لا نتحدّث هُنا عن زمانٍ أرضيّ، وإنّما نتحدّثُ عن طبقةٍ مِن طبقاتِ الوجود - وإن كانتْ تتجلّى في هذا العالم الدُنيوي بنحوٍ مِن الأنحاء- لكنّها ليستْ محكومةً بزمانٍ أرضيّ مُقيّد.
• الآية 83 من سورة النساء تتحدّثُ عن الأمر الذي يتمظهر في حاكميّة الناس: {**وإذا جاءَهم أمرٌ مِن الأمنِ أو الخوفِ أذاعوا به ولو ردُّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمْر منهم لَعلِمَهُ الذين يستنبطونَهُ منهم**}
الحديث هُنا عن شُؤون الناس اليوميّة، عن حياتهم، عن الحرب والسِلْم، عن كُلّ ما يرتبطُ بحاجاتِ الناس في أعمالهم وفي سكنهم وفي علاجهم وفي سياستهم، وفي اقتصادهم وفي علاقاتهم الاجتماعيّة وفي سائر الشُؤون الأخرى التي تتوقّف عليها الحياةُ اليوميّة لأبناء البشر.. الآية هنا تتحدّث عن الأمر بهذا المعنى.
أمّا سورة القدر فإنّها تتحدّث عن الأمر بنحوٍ آخر.. وما جاء في حديث الإمام الباقر إنّه يتحدّثُ عن الأمر في مَرتبةٍ مِن المراتب.
فأولوا الأمر هُم هؤلاء.. وإذا كانوا بهذا الوصف وبهذا الحال فإنّ الكون مُتوقّفٌ على وجودهم؛ لأنّ اللهَ أراد ذلك.. ومِن هُنا لا نستطيعُ في ضِمن هذه المُعطيات، وفي ضِمن هذهِ الثقافة وفي ضِمن هذا الفَهْم لا نستطيعُ أن نتصوّر الكون مِن دُونهم، لأنّهُ سيضطربُ وسيُصِيبهُ الفساد.
• وهذا المعنى الذي تشتملُ عليه بعضُ الروايات مِن أنّ الحُجّة لو رُفِعَ مِن الأرض ساختْ، المراد من الرفع هُنا ليس رَفْعاً حِسّياً.. هذهِ المعاني تتناغمُ مع هذا العُمق.. تتّسقُ مع هذا الفَهْم الذي يُستخلَصُ مِن مجموع هذهِ الآيات ومِن مَجموع هذهِ النصوص المَعصوميّة الشريفة.
فنحنُ لا نستطيعُ أن نتصوّر الكون مِن دُون "أولي الأمر" بهذا المعنى.. وهؤلاء لهم ظُهورات وتَجلّيات.. وفي العالم الدنيوي لهم تَجلّ وهو: أئمّتُنا مُحمّدٍ وآل مُحمّد.
وهُم في عالم الدُنيا يُشرفونَ على الأمْر بنفس اللّحاظ الذي أشارتْ إليه سُورة القدر.. ولهم حاكميّةٌ وحُكومةٌ على الناس إذا ما توفّرتْ الأسباب والمُقدّماتُ المُناسبةُ، لأنّ حاكميّة الناس ولأنّ الحكومةَ بين البشر مُصاغَةٌ إلهيّاً في حَالةٍ تتناسبُ مع واقع الحياةِ البشريّة على الأرض ومع مَخلوقاتٍ أُعطي لها الخيار في أن تختارَ طريق الظُلم أو طَريق العَدل.. أن تسيرَ في دُروب الطاعة أو في دروب المعصيّة.

وفي مِثل هذه الأجواء لن تكونَ حاكميّةُ أُولي الأمر إلّا بما يتناسبُ وهذا النظام الذي سنّهُ الباري سُبحانهُ وتعالى للإنسان على وجه الأرض. فنحنُ لا نَستطيعُ أن نَتصوّر عالمنا الأرضي إذا أراد أن يتكامل مِن دُون أُولي الأمر.. ومِن دُون صاحب الأمر، ولذا الإسم الأبرزُ لإمام زماننا هو: صاحبُ الأمر.

● وقفة عند ما جاء في كلام سيّد الأوصياء والذي جاء مرويّاً في كتاب [الاحتجاج] للشيخ الطبرسي.. وهذا الكلام يُلخّص كُل ما ذكرتهُ مِن أوّل الحلقةِ إلى آخر ما ذكرتهُ.. يقول "عليه السلام":

(وعرّفَ الخليقةَ فضْلَ منزلةِ أوليائه، فرضَ عليهم - على الخليقة - مِن طاعتهم - أي من طاعةِ أوليائهِ - مثل الذي فرَضَهُ منهُ لنفسه، وألزمَهم الحُجَّةَ بأن خاطَبَهم خطاباً يدلُّ على انفرادهِ وتوحّدهِ وبأنَّ لهُ أولياء تجري أفعالهم وأحكامُهم مَجرى فِعلهِ، فهُم العِبادُ المُكرَمون لا يسبقُونَهُ بالقَول وهُم بأمرهِ يعملون، هو الذي أيَّدهُم بروحٍ منه وعرَّف الخَلْق اقتدارهُم على عِلْم الغَيب بقولهِ: {عالمُ الغَيب فلا يُظهِر على غيبهِ أحداً إلّا مَن ارتضى مِن رسول} وهُم النعيم الذي يُسألُ العبادُ عنه لأنَّ الله تبارك وتعالى أنعمَ بهم على مَن اتَّبعهم مِن أوليائهم.

قال السائلُ: مَن هؤلاء الحُجَج؟ قال: هُم رسول الله ومَن حلَّ محلَّهُ مِن أصفياء الله الذين قَرَنَهُم اللهُ بنفسه ورسولهِ وفَرَضَ على العباد مِن طاعتهم مثل الذي فَرَضَ عليهم منها لنفسهِ وهُم ولاةُ الأمر الذين قال الله فيهم: {أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ وأُولي الأمْر منكم} وقال فيهم {ولو ردُّوهُ إلى الرسول وإلى أُولي الأمْر منهم لَعَلِمَهُ الذين يستنبِطُونَه منهم}. قال السائل: ما ذاك الأمر؟

قال عليٌ "عليه السلام": الذي بهِ تَنَزّلُ الملائكةُ في الّليلة التي يُفرَقُ فيها كُلُّ أمْرٍ حكيم.. مِن خَلْقٍ ورِزْقٍ وأَجَلٍ وعَمَلٍ وعُمْرٍ وحياةٍ ومَوتٍ وعِلْم غَيبِ السماواتِ والأرض، والمُعجزات التي لا تَنبغي إلّا للهِ وأصفيائهِ والسَفَرةِ بينهُ وبينَ خلقه، وهُم وجهُ الله الذي قال: {فأينما تُولوا فثمَّ وجه الله} هُم بقيّةُ اللهِ يعني المَهدي يأتي عند انقضاءِ هذهِ النَظِرَة - أي المُهلة - فيملأُ الأرضَ قسْطاً وعدلاً كما مُلئتْ ظُلماً وجورا...)

أعتقِدُ أنّ هذا المقطع مِن كلام سيّد الأوصياء هو إجمالٌ لكلّ التفصيل الذي تحدّثتُ عنه، وهو بيانٌ موجز لِمضامين كُلّ الآيات التي أشرتُ إليها وتلوتها على مسامعكم قبل قليل.

• هذا هو الأمرُ نفسهُ الذي تتحدّث عنهُ الزيارة الجامعة الكبيرة: (**وإيابُ الخَلْقِ إليكم، وحِسابهم عليكم**).

المراد من إياب الخَلْق أي رُجوع الخَلْق في كُلّ شيءٍ (في بقاء الخَلْق، في الفيض الواصل إلى الخَلْق، في نظام وجود الخَلْق..) في كُلّ ما يرتبطُ بهذا الخَلْق.. الخَلْقُ بكلّه راجعٌ إليكم.. والذي عُبّر عنهُ في محلٍّ آخر من الزيارة الجامعة الكبيرة: (**وذلّ كُلّ شيءٍ لكم**).

أمّا كيف يؤوب الخلق بكلّه إليهم؟ وكيف يكون الحسابُ بكلّه عليهم؟ فهذا الأمر إنّما يكون لأنّ كلّ شيءٍ تحتَ طاعتهم (**وذلّ كُلّ شيءٍ لكم**).. وهذا كُلّهُ يتجلّى في هذه العبارة: (**وأمرهُ إليكم**).. هؤلاء هم أُولو الأمر في كُلّ الطبقات.

• نقرأ في زيارة الندبة (وهي زيارة آل ياسين غير المشهورة) جاء فيها ونحنُ نُخاطِبُ إمام زماننا: (**فما شيءٌ مِنّا إلّا وأنتم لهُ السبب وإليه السبيل..**). ولا غرابة في ذلك.. فنحنُ نقرأ في الزيارة المُطلقة الأولى مِن زيارات سيّد الشهداء في مفاتيح الجنان: (**إرادةُ الربّ في مقادير أُمورهِ تهبِطُ إليكم وتصدرُ مِن بيوتكم والصادرُ عمّا فُصّل من أحكام العباد**)

هذه العبارات هي حديثٌ عن مَراتب ومَظاهر لهذا الأمر الذي يتجلّى في كلّ طَبَقةٍ من طبقات هذا الوجود.

المضامين واضحة جدّاً ومُتناسقة.. فإنّ الأمر الذي تحدَّث عنه القُرآن مراتبهُ لا تنتهي.. نهايةُ سلسلة مَراتب هذا الأمر هي الحاكميّةُ والحكومة والتي ستتحقَّقُ بتمام معناها عند ظُهور إمام زماننا، وإنّما تُرك الناس في فُسحةٍ مِن زَمان آدم إلى زَمن الظهور كي يختاروا طريقهم.. فمِن زمان آدم إلى زمن بدايةِ غَيبةِ إمام زماننا كان الأنبياءُ والأوصياءُ والأولياء في مِخاضٍ وتَمهيدٍ حَتّى وُلِد إمامُ زماننا.. وبعدَ ذلك بدأتْ الغَيبةُ في أوّل إمامَتهِ الفِعليّة بالنسبةِ للعالم التُرابي البشري.. وإلّا فإمامَتهُ مُمتدّةٌ بامتداد تجلّياتهِ العالية والخالدة.. فهم العالون وهم الخالدون.. إلى بقيّة الأوصاف التي تحدّث عنها القرآن (**وجعلكم بعرشهِ مُحدقين**) كما في الزيارة الجامعة الكبيرة.

● **يُمكنني أن أُلخّص ما تقدّم في نقاطٍ موجزة:**

◈ **النقطة (1)**: نحنُ أمامَ شاشةٍ اصطلحتُ عليها شاشةَ القُرآن وهي تشتملُ على عدّة صور.

◈ **النقطة (2)**: الصورُ التي أشرتُ إليها وتحدّثتُ عنها:

• **الصورة الأولى**: كان مضمونها في منظومة الإمامة واحتياج الإنسان لها على طُول الخطّ حتّى بعد الموت {**يوم ندعو كُلَّ أُناسٍ بإمامهم**}.

• **والصورةُ الثانية**: كان مضمونها في المجموعةِ المتكاملة والتي لا نستطيعُ أن نتصوّرها منقوصةً بأيّ احتمالٍ مِن الاحتمالات (العالون، الخالدون..) إلى كُلّ التفاصيل التي مرّتْ الإشارةُ إليها.

• **والصورة الثالثة**: الحديثُ عن الخلق والأمر {**ألا له الخَلْق والأمر**}، (**وأمرهُ إليكم**) وهذهِ الصُوَر مَوجودةٌ في القُرآن ولا يستطيعُ أحدٌ أن يُنكرها.. ولا يستطيعُ أحد أن يُقلّل مِن عَميق مَضمونها ودقيق معناها.

بغَضّ النظر عن أنّ الذي يرجع إلى القُرآن أ كان يَعتقدُ بإلهيّته أم كانَ مُعتقداً ببشريّته.. بالنتيجة القُرآن كتاب، والكتاب يشتملُ على مضامين.. هذه الصُور الثلاثة مأخوذةٌ مِن مضامين القُرآن.. والنتائج المُستخلصة منها نتائج واضحة وقويّة.

• مَجموعةٌ مُتكاملةٌ لا نستطيعُ أن نُفكّك بين أفرادها تتجلّى فيها منظومة الإمامة لنا نَحن البشر، وتَتجلّى فيها حقيقةُ عالم الأمر لكلّ الخَلْق {**ألا لهُ الخَلْقُ والأمر**} وكما في الزيارة الجامعة الكبيرة (**وأمرهُ إليكم**)،
وكما قُلتْ هذه الصُورة أقوى ممّا يأتي في كُتب التأريخ ونبقى نُناقِش في صِحّته أو عدم صِحّته.. وأقوى مِن كُلّ ذلك الهُراء الذي يُثار على أحاديث الولادة - رغم أهمّيتها - وسيأتي الحديثُ عنها، وسيكون الحديثُ عنها في شاشتها الخاصّة بها.

❖ **الصورة (4) وهي الأخيرة مِن صُور الشاشة الأولى وهي "شاشةُ القرآن"**: نماذج وأمثلة من آياتِ الكتاب الكريم وبِحسب تفسيرهم تتناولُ جوانبَ مِن شؤونات إمام زماننا.. آتيكم بها أمثلة كي أُشكّل لكم صُورةً رابعة كي تعرفوا أنّ القرآن قد تحدّث عن إمام زماننا بكلّ التفاصيل.. فهي صورةٌ استخرجتها من الكتاب العزيز مُستنيراً بأحاديثهم الطاهرة.
هُناك مئاتٌ مِن الأحاديث فسّرتْ لنا مئات مِن آياتِ الكتاب الكريم فيما يرتبطُ بإمام زماننا..
(تحدّثَ القرآن عن غَيبة إمام زماننا وعن أحوالها.. وتحدّثَ القُرآن عن ظُهور إمام زماننا.. وتحدّثَ القَرآن عن علائم الظهور أيضاً.. وتحدَّثَ القُرآن عن شُؤون إمام زماننا.. وتحدّثَ القُرآن عن شُؤون الرجعة وتفاصيلها)

● الآية 80 من سورة هود وفي قِصّة لوطٍ النبيّ: {**قال لو أنَّ لي بكم قوَّةً أو آوي إلى رُكنٍ شديد**} لوط قال ذلك حينما جاء قومهُ يهرعون إليه يُريدون أن يُمارسوا اللّواط مع أضيافهِ.. وأضيافهُ كانوا مِن الملائكة ولكنّهم جاءوا في صُورة شبابٍ في غاية الحُسن والجمال. فقال لهم لوط: {**يا قومِ هؤلاءِ بناتي هُنَّ أطهرُ لكم فاتَّقوا اللهَ ولا تُخزونِ في ضَيفي أليس مِنكم رجلٌ رشيد**} فأراد لوط أن يُزوّج بناته مِن قومه الفاسدين لحفظ أضيافه.. {**قالوا لقد علمتَ ما لنا في بناتكَ مِن حقّ وإنَّكَ لَتعْلَمُ ما نُريد * قال لو أنَّ لي بكم قُوَّة أو آوي إلى رُكنٍ شديد**}
• وقفة عند حديث الإمام الصادق في [تفسير البرهان: ج4]
(**عن أبي عبد الله "عليه السلام" قال: في قوله تعالى: {قُوَّة}. قال: القُوَّةُ: القائم "عليه السلام"، والرُكن الشديد: ثلاثمائة وثلاثة عشر**).
هذه أُمنيةُ لوطٍ النبيّ بعد أن صار في حالٍ لا يستطيعُ أن يُدافع عن أضيافهِ.
هذا مثال.. وهناك مواطن عديدة في الكتاب الكريم تتحدّث آياتُها عن علاقة الأنبياء بإمام زماننا وعن ذِكرهم لإمام زماننا.

● في الآية 8 من سورة هود أيضاً: {**ولَئِن أخّرنا عنهم العذابَ إلى أُمّةٍ مَعدودةٍ لَيقُولنَّ ما يَحبسهُ ألا يوم يأتيهم ليس مَصروفاً عنهم وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزؤون**}
• وقفة عند حديث الإمام الباقر في [تفسير البرهان: ج4]
(**عن عبد الأعلى الحلبي، قال: قال أبو جعفر "الباقر عليه السلام": أصحابُ القائم الثلاثمائة والبضعةَ عشرَ رجلاً هُم واللهِ الأُمّة المعدودة التي قال الله في كتابه: {ولَئِن أخّرنا عنهم العذاب إلى أُمّةٍ مَعدودة} قال: يُجمَعون لهُ في ساعةٍ واحدة قزعاً كقزع الخريف**)
المُراد من قولهِ " **كَقَزع الخريف**": أي كسحائب الخريف، التي تكون صغيرةُ الحجم وتتجمّعُ شيئاً فشيئاً.
فالأُمّةُ المعدودة هُم الرُكن الشديد الذي مرّتْ الإشارة إليه في أُمنية لوط في الآية 80 مِن سُورة لوط.

● وقفة عند آخر آية من سُورة آل عمران وهي الآية 200: {**يا أيُّها الذين آمنوا اصْبروا وصَابروا ورابطوا واتَّقوا اللهَ لعلَّكم تُفلحون**}
في أحاديث أهل البيت هذه الآية تتحدّث عن زمان الغَيبة وعن تكليفنا الشرعي اتّجاه إمام زماننا.
• وقفة عند حديث الإمام الباقر في [تفسير البرهان: ج2]
(**عن بُريد بن مُعاوية العِجلي، عن أبي جعفر مُحمَّد بن عليّ الباقر "عليه السلام"، في قوله: {يا أيُّها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا}. قال: اصبروا على أداء الفرائض، وصابروا عدوّكم، ورابطوا إمامَكم المُنتظَر**).
فلآيةُ في شُؤون إمام زماننا تتحدّث عن زمان غَيبتهِ وتتحدّث عن الانتظار.
والمرابطةُ هي أجلى وأقوى معنىً من معاني الانتظار؛ لأنّ المُرابطة انتظارٌ إيجابي، وانتظارٌ فعلي وحقيقي.. إنتظارٌ على المُستوى النفسي وعلى المُستوى العقائدي وعلى المُستوى القولي والعَملي.. المُرابطة استعداد وترقّب، المُرابطة بحثٌ وترصّد.. المُرابطة تهيّؤ بكلّ ما لِهذه الكلمة مِن معنى.. المُرابطة استعداد في أجلى صُوره.
وهذا هو القرآن يأمرنا بالمُرابطة.. والمُراد مِن المُرابطة: يعني كأنّ الإمام في أيّ لحظةٍ هو آتٍ.. وهو نفس المضمون الوارد في أحاديثهم (**توقّعوا الفَرَج صباحاً ومساء**).

● في سورة البقرة في الآية 155: {**ولَنبلونَّكم بشيءٍ مِن الخَوفِ والجوعِ ونقْصٍ من الأموال والأنْفُسِ والثَمَرات وبشّر الصابرين**} وهي في جُملة الارهاصات والأحداث التي تقعُ قبل ظهور إمام زماننا.
• وقفة عند حديث الإمام الصادق "عليه السلام" في [تفسير البرهان: ج1]
(**عن مُحمَّد بن مُسلم، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد "عليهما السلام"، قال: إنَّ قُدّام قيام القائم علامات، بلوى مِن اللهِ تعالى لعبادهِ المُؤمنين.**
قلتُ: وما هي؟ قال: فذلك قولُ اللهِ عزَّ وجلَ: {ولَنبلونَّكم بشيءٍ من الخَوف والجُوع ونقْصٍ مِن الأموال والأنفُس والثمرات وبشّر الصابرين} قال: لنبلونَّكم: يعني المُؤمنين، بشيءٍ من الخَوف: مِن مُلوك بني فلان في آخر سلطانهم، والجُوع: بغَلاء أسعارهم، ونَقْصٍ

مِن الأموال: فسادٌ التجارات وقلّة الفَضْل فيها، والأنفس: موتٌ ذريع - يعني مُنتشر - والثمرٰات: قِلّة ريع ما يُزرع وقلّة بركة الثمار، وبشّر الصابرين: عند ذلك بخروج القائم. ثم قال: يا مُحمّد، هذا تأويلهُ، إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقول: وما يعلمُ تأويلَهُ إلّا اللٰه والرٰاسخون في العلم)

• هذا العنوان (**بنو فُلان**) في الغالب يُراد منه بنو العبّاس.. ولكن الإمام هُنا يتحدّث عن الدولة العباسيّة الثانية التي حدّثتنا عنها الروايات والتي ستكون في زمنٍ قريبٍ جدّاً من ظهور السُفياني وفي زَمنٍ قريبٍ جدّاً من ظهور إمام زماننا "صلواتُ الله عليه".. والإمامُ هُنا يتحدّث عن الدولة العبّاسيّة الثانية التي تكون في آخر الزمان.

فالآيةُ هنا تتحدّث عن جانبٍ من علاماتِ ظهور إمام زماننا مِن الإرهاصاتِ ومن الحوادث.. وبقيّة الحديث تأتينا يوم غدٍ.